كأنها ذكرى:

# أستاذها يوحى لهـــــا

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

في المرقص ، جئن يتبارين ، لتفوز الجيدة منهن بالعمل . فقد كن راقصات معطلات ، وقد أعلن هذا المرقص عن يوم قريب حدده ليبدأ فيه العمل بأبطال وبطلات جدد

وكان يومنا هذا اليوم المختار لانتقاء الراقصات المتهافتات على هذا المجال الجديد الطلى

وراحت كل واحدة منهن تعرض أبهى ما عندها ، وأحيي ما عندها ، وأشد ما عندها أخذاً ، وأقواه أسراً ، وأحلاه فجوراً ، وأشهاه فتكا

وكلما كانت واحدة منهن تفرغ من جولتها كانت تجلس إلى جانب أخواتها اللاتى فرغن لتشاهد أخواتها اللاتى يتقابعن على الحلبة يذوبن أنفسهن حركات ونظرات وتشمماً . فمن أساءت حينها ، ومن أحسنت حينها أيضاً

وكانت صاحبة المرقص هي والأستاذ جالسين في ركن يتذوقان كل راقصة من هؤلاء كما يمضغ الأهتم التفاحة ، يمصها مصاً في تريث وفي تأن ، فما تفوته من حلاوتها ولا من نكهتها نسمة

حتى انطلقت عذراء لترقص

كان الرقص ملهاتها في المدرسة ، وكانت تتشرف به ، وكانت تمنح عليه الجوائز دون أن تفكر يوماً في أنها ستستنجده العيش ، ولكن أباها لما مات ، وأمها المنهوكة ترملت ، وإخوتها الصغار تيتموا ، لم تجد مفراً من أن تعرض في السوق نفسها في أفضح ما تكون نفسها ، ألماً وفرحاً ، راحة وتعباً ، رغبة وإعراضاً ، تماسكا وتحطما ... لتكون راقصة

عذراء ، لا يزال يفيض منها الحياء ، انطلقت بين الأستار والأنوار ، ونهشات الأنظار ، فانعقدت ، عقلها راح . انصدمت فوقفت ، وتدلت ، فتساقطت ، ولو أنها عصرت ألمها دمعاً لما اختنقت ، ولكنها ضعفت فلم تقو حتى على أن تبكى

هذه ... تريد أن تكون راقصة . من الذين رأوها من تألم ، ومنهم من ضحك ، ولكنهم جميعاً أسرعوا إليها ، وحملها بعضهم ، وأمرت صاحبة المرقص أن يذهب بها إلى حجرة ما تسعف فيها ثم تأخذ ملابسها وتمضى ، فذهبوا بها ، وعادوا عنها إلى ما كانوا فيه ، ولكن صاحبة المرقص ألفت نفسها في ركنها قد طال مكثها وحدها ، لم يرجع الأستاذ لها فسألت عنه فعلمت أنه لا يزال عند البنت التي أغمى عليها

وكان وقت الراحة قد جاء فقامت السيدة إلى الأستاذ لتراه ماذا يصنع عند تلك البنت

فلما جاءتهما وجدته يقول لها : « هــذه الأنوار أنوار ، فإذا كنت تكرهينها أطفأناها ، وهذه الأستار أستار قطع من القماش مدلاة بحبال ومرسوم عليها صور وأشكال ، فإذا لم تكن تعجبك رفعناها ، وهؤلاء الناس الذين ينظرون إليك ناس مثلى أنا ومثلك أنت ومثل كل الذين عرفتهم وعرفوك ، فإذا كنت تبغضينهم طردناهم . . . أيرضيك هذا ؟ ولـكن لماذا يرضيك ؟ أما كنت ترقصين في المدرسة أمام أنوار وأستار وأنظار ؟ هذه كتلك ، فلم التخاذل هنا والشيطنة هناك ؟ قومى ... أعيدى الـكرة ... فإنى أضمن لك في الرقص مستقبلاً قريباً ربمـا لم يكن أتيح مثله لراقصة من قبل ... يا لله يا ماما ... وهاك الشوكولاتة ! ... »

---

ها أنا أطفأت مصباحى ، وحطمت قناتى !
ها أنا شيعت أحلامى إلى وادى الممات !
ها أنا ألقيت قيثارىَ في تلك الفــلاة !
ها أنا أمضي إلى قبرى سريع الخطوات !
لا تقولوا : واهنُ القلب ضعيف العزمات !
ماتت الآمال في قلبي فما معنى حياتى !
فاتركـونى . . . . لشجونى ! وليأسى المظـــلم !
ودعـــونى . . . . وسفينى ! لرياح العــــدم !

( دمنهور ) ابرهيم محمد نجا
الشاعر الحائر

ومصت العجوز القصابية صاحبة المرقص شفتيها عجباً واستهزاء وقالت : اسمى الكلام يا روحى وقوى أرينا البشائر وأشهدينا الفتح ... يالله يا ماما ، وهاك أيضاً من عندى شوكولاته

وأصرت الصغيرة على أنها تكره الرقص، وتنفر منه وتخشاه وتضرب عنه ... وجمعت أشياءها فى حقيبتها وتمتمت بكلمات شكر ما تحققه وترويه بدون أى تدبر أو تفكير فيه ، واستأذنت لتمضى ، ولكن الأستاذ وقف فى طريقها وأقسم ليحبسنها ، فلا تخرج إلا إلى الأنوار والأستار والأنظار

الرجل أحبها ، هذا المغمور فى منابع الهوى ، المنغمس ليله ونهاره بين أذرع الغيد ، المنطبق بروحه على أرواحهن ، المتقبل بحواسه نفثاتهن وصرخاتهن وهمهماتهن وغلياتهن ... هذا العليم الخبير، الغنى الوفير الصيد إذا أراد صيداً، كان يزهد فى كل ما كان يرى ، لأنه لم يكن يرى إلا صنعة هو أستاذها . . . أما هذه فقد رأى فيها أشياء أخرى ، ولم يكن ينقصها إلا هذه الصنعة التى هو أستاذها ، رآها الراقصة التى ظل يحلم بها ليحبها وليعلمها ولترقص له فتلهبه ، وتلهمه ، فيعود يوحى لها ... الأخريات لم يقبلن على الرقص إلا حين أردن أن يسفكنه ذهباً ، وهذه حين أرادت العيش من الرقص استعصى عليها واستعصت عليه ... الأخريات عيونهن مفتحة وأرواحهن غائبة ، وهذه عيناها محتشمتان مغضوضتان ، وروحها هى العاصفة ...

هذه هى الفنانة الراقصة

قالت صاحبة المرقص للأستاذ : « ما دامت الآنسة مصرة على الذهاب فدعها تذهب ، وإن أستاذها للصحيح وإنى أؤكد لها أنها غير مخلوقة لهذه الحياة الصاخبة التى نحياها ، وأنه من الخير لها أن تعمل فى متجر أو مصنع فهو أليق بها وأوفق لها » . . .

فما عارضت هذا الآنسة وإنما هزت رأسها . وقالت : « شكراً ، وإن هذا ما اعتزمته ، ثم شكراً للأستاذ فقد كان رؤوفاً رقيقاً »

فضحك الأستاذ وقال : « إذا خرجت فأنا معك »

وترك عمله وخرج معها ، وصحبها إلى بيتها ، فاستقبلته أمها وإخوتها وكانوا ينتظرون عودتها فى اشتياق وإشفاق ، وكانوا يرجحون أن تزف إليه خبر فوزها فى المباراة واضطلاعها بالعمل ، فلما دخلت هى والأستاذ أسرعت إليها أمها وسألتها : « ما الخبر ؟ » فأسرع الأستاذ بالإجابة قائلاً : « إن هى إلا سنة ، إن لم تكن بعدها ابنتكم هذه سيدة الراقصات فإنى لست إياى » ... فقالت الأم : « على الله، ولكن أما اتفقتم معها لتعمل عندكم هذه السنة؟ » فقال الأستاذ : « سأعمل معها أنا » ...

وأخذ الأستاذ بعد ذلك يهرج مع الصغار ويداعبهم ويضاحك معهم ويلعب ، ثم أولم لنفسه وليمة عندهم فآكلهم وشاربهم ومازحهم، وما غادرهم حتى كان قد أشاع فى نفوسهم جميعاً الفرح، والامل ، والإيمان بان رضواناً من الله قد انساق إليهم ...

إلا الراقصة فقد كانت تسايرهم بما يبدو فرحاً وأملاً وإيماناً، ولكن نفسها كان فيها غير هذا يأس وقنوط وظلمات ووحشة . وكان الأستاذ يحس هــذا كله ولكنه لم يكن يعبأ به ولا يخافه منه على صغيرته فقد كان يعد هذا كله من علامات التوفيق الذى كان يتوقعه ...

وانتهت زيارة اليوم ، وعاد إلى الزيارة فى الغد وقال لها : « أما رأيت فروجاً يخرج من بيضة ! » فقالت : « رأيت » فقال لها : « وكيف رأيته ؟ » فقالت له : « هكذا رأيته ، بمنقاره ينقب البيضة وهو فيها ، فإذا انفتحت فيها ثغرة أطل برأسه منها، فإذا رأى الدنيا أمامه نظر إليها من يمينه وعن يساره ، ثم إذا حلت له الدنيا عاد إلى البيضة ، فإذا كره الحبسة فيها عاد فنقبها ، حتى يتسع له فيها مخرجه منها ، فينطلق من محبسه ، جرياً ، وقفزاً ، لا ينظر إلى مثواه القديم ، وإنما ينساه ، وينجذب إلى أمه ، يعرف أنها أمه ، وهكذا يخرج الكتكوت من البيضة » فقال لها الأستاذ : « لو أنك انتبهت إلى نفسك وأنت تقصين على هذه القصة ، لعلمت أنك قد ابتدعت رقصة ، هى رقصة بريئة طاهرة ترضيك وتوافقك ، وقد أخذتها أنا الآن عنك ، وسأعود إليك بها غداً ، مقسمة ، منظمة ، منغمة ، مزيداً عليها زوايق من عندى على الأصل الذى كان عندك ، فإلى اللقاء غداً ...

وفى الغد عاد الأستاذ بالراقصة . . . وليس فى البيت أنوار ولا أستار ولا أنظار إلا أمها وإخوتها ، وهؤلاء جميعاً يفيض من أعينهم الحب والإعجاب والتشجيع ... فرقصت وأحسنت

فلما رآها أحسنت قال لها : « الآن تستطيعين أن تقصدى المرقص ، وأن تتحدى الراقصات فيه بهذه الرقصة ، فإذا كنت ستشعرين بشىء من التهيب أو شىء من الوجل فإنى سأقف على قرب منك تجاه عينيك ، فانظرى إلى ، وارقصى لى ، ولا ينشغل

بالك بمن هم حولك ، وانسيهم ، وازعمى لنفسك أنى سألتك ثانية كيف يخرج الكتكوت من البيضة وأنك تجيبين عن سؤالى هذا رقصاً ... يا لله يا ماما ... وهاك الشوكولاته ...

اضطربت قليلاً ، ولكنها قامت معه

ولم يكن باقياً على موعد البدء فى العمل إلا يوم ، ولم يكن عند صاحبة المرقص من الصبر ما تحتمل به اختيار راقصة جديدة بعد ما أعدت برنامجها واطمأنت لما نظمت به عملها ... ولكن تحمس الأستاذ ، وإصراره ، وأيمانه التى كان يقسمها يؤكد بها نجاح راقصته ... كل هذا حمل العجوز على أن ترضخ وأن تصبر وأن ترى ... فرأت عجباً ... فناً رشيقاً بريئاً حلواً مبعوثاً من نفس بكر خالصة صادقة ساذجة ذكية ناعمة ، موشى بحلى صاغتها روح هذا الأستاذ العارف المدرك الدقيق المتأنق ...

فرضخت العجوز واعترفت ...

وبدأت الراقصة العمل ... ونجحت فى الليلة الثانية ، وواصلت النجاح بعد النجاح ، وبدلت الرقصات رقصة بعد رقصة ، وتفتحت نفسها بعد ما كانت مظلمة معتمة وبارحها اليأس ، وتبدل قنوطها فرحاً ومرحاً وبهجة وإيماناً ورضى ...

ولكنها لم تنتبه إلى الأستاذ ، لم تكن تطلق إليه روحها إلا وقتما كان يعلمها ، ووقتما كان يقف لها على بعد أو على قرب لترقص له ... أما فى غير هذين الوقتين فقد كانت تنشغل بالدنيا ، وبما فيها ، وبمن فيها ... كلما قال لها واحد من الناس كلمة إعجاب صدقت أنها كلمة إعجاب ، وما بالها لا تصدقها والأستاذ نفسه معجب بها ... كان عليها أن تسأل نفسها : هل هؤلاء الذين يبدون الإعجاب بها يعرفون أين موطن الحسن فيها ، وما مبلغ هذا الحسن وما مبعثه ... ولكنها لم تفكر فى شىء من هذا ، ولكنها تلقت إعجاب الناس كما تلقت إعجاب الأستاذ ، وحسبت أن الناس كلهم مثله ، ثم راحت تحسب بعد ذلك فيهم ميزات ليست فيه هو ، فهذا غنى ، وهذا وجيه ، وهذا شباب ، وهذا صحة ، وهذا اسم ، وهذا مجد ، وهذا ظرف ، وهذا تودد ، وهذا هدايا ، وهذا ولائم ... وهذا وهذا ...

أما الأستاذ فإنه لم يزد عندها على أن يكون معلمها وهدف فنها ...

لم تفكر فى أنه يحبها . انفرد بها يوماً وقال لها كلاماً كثيراً دس فيه أنه يحبها فسمعتها منه كما كانت تسمع منه كل شىء : حقيقة تتلقاها خالصة ، وتستغلها . فلم يعد يعيدها وعرت المنة .

وكان اسمها قد لمع . ولم يعد أحد يجهلها . الجمهور يتهافت عليها ، والصحافة تتلقف أخبارها ، والمراقص تتنافس لتتعاقد معها . وهى ناعمة راضية ...

والأستاذ عاشق يكتم العشق ، صابر راض بأن تكون تلميذته الموفقة إن لم تكن له أكثر من ذلك

وأقاموا لها حفلة يكرمونها . واحتشدت الدنيا فى هذه الحفلة : العشاق، والهواة، والمعجبون، والمتطفلون، والزملاء، والأستاذ ...

وألقيت الخطب ، والقصائد ، ونثرت الزهور والرياحين ، وطالبوها برقصة « الكتكوت » فقال لها الأستاذ : « لا ترقصى » فقالت : « عجباً ! ولماذا ؟ لا بد أن أرقص ، هؤلاء جميعاً جاءوا ليكرمونى فلا أقل من أن أكرمهم برقصة ... وهى بعد ذلك وقبل ذلك رقصتك التى علمتنى إياها ، ثم إنى أريد أن أرقص »

— إذا كنت تريدين أن ترقصى فهيا إلى البيت ارقصيها بين أمك وإخوتك ، وإنى أذهب معك

— وهؤلاء الناس ؟

— هؤلاء الناس ليسوا شيئاً . إنهم ناس : بشر لا أكثر ولا أقل

— وأنت ألست من الناس ؟ ألست من هؤلاء البشر ... هذه غيرة وغرور

— قد تكون غيرة ، ولكن أين منها الغرور ؟ أنسيت أنك حتى الأمس لم ترقصى إلا لى ...

— ومنذ اليوم سأرقص للناس لا أريدك أن تقف فى طريقى

— O. K. ... أوروفوار !

... ولم يستغرق هذا التهامس إلا دقائق قليلة مرت بسرعة ... ثم أشارت بيدها إلى العزاف فبدأوا اللحن ، واعتدلت للرقص ... وبدأت ... وأخذت تطرد من مخيلتها صورة هاتين العينين اللتين اعتادت أن تسيل بفنها فيهما ... وأخذت تسفك فنها فى الفضاء وتنثره على عيون منها البلهاء ، ومنها المتلصصة ، ومنها المتقاحة الخاطئة ...

اضطربت السكينة . وعاودتها تلك الرجفة التى دهمتها فى ليلة المباراة الأولى ، فسقطت كما سقطت إذ ذاك . وانقلبت حفلة التكريم إلى مأساة